العهد القديم:
أساطير العبرانيين أم كتاب الكنيسة؟

د. ميلتيادس كونستانتينو
جامعة تسالونيك – جامعة البلمند
ترجمه عن اليونانية: السيّدة سميرة حموي – عطيّة

يعتبر اكتشاف حضارات مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين، التي كانت منسية على مدى قرون، واحد من أهم إنجازات القرن الثامن عشر ب.م. كما أن توسع الأفق التاريخي الذي نتج عن هذا الاكتشاف أثّر لا محالة في طريقة النظرة إلى الكتاب ومقاربته.

إن العدد الهائل من النصوص الذي جاءت به الاكتشافات الأثرية إلى النور جعل الكتاب اليوم من أقدم الكتب في العالم ، وهو نسبيا أحدث إنتاج في تاريخ الحضارة الإنسانية المغرقة في القدم، طالما أن المسافة الزمنية لأكبر جزء من محتواه منذ بدايات الحضارات القديمة يساوي تقريبا ٢٥٠٠ سنة بالقياس إلى بعده عن العصر الحاضر.

وهكذا فان العالم الكتابيّ لديه اليوم إمكانية رؤية نصوص الكتاب في خضم تيار واسع من تراثات مختلفة المنشأ والنوع تفتح له آفاقا جديدة للتفسير وتقدم له إمكانيات جديدة لفهم أفضل واكمل لها.

ولكن بالإضافة إلى النتائج الإيجابية التي تمخضت عنها المقاربات التفسيرية الحديثة، فقد طرح في نفس الوقت تساؤل خطير:"بماذا يختلف الكتاب عن أساطير الشعوب الأخرى المجاورة لإسرائيل؟"

تتزايد في السنوات الأخيرة أصوات مختلفة ، تشكك بطريقة أو بأخرى ، بقيمة "الكتب اليهودية" أي الجزء الأول من الكتاب المقدّس المسيحي والذي يسمى "العهد القديم" في الكنيسة.

يعتقد البعض أن دراسة العهد الجديد كافية للإيمان المسيحي ، طالما انه فيه ينكشف اله المسيحيين بشكل حقيقي. والبعض الآخر يتجرأ ويطرح السؤال التالي مباشرة:"لماذا يجب على المسيحيين أن يدرسوا "أساطير العبرانيين"؟ وبالأحرى هل هي ضرورية لإيمانهم؟

إن القضية كلها ذات هيكلين:

الأول يتعلق بالسؤال عن علاقة العهد القديم ونصوص أساطير الشعوب المختلفة.

والثاني يتعلق بأهمية العهد القديم للإيمان المسيحي.

لكي يجيب المرء على السؤال الأول ينبغي قبلا أن يعطي إجابة واضحة على السؤال التالي: كيف وجدت كتب الكتاب المقدّس؟ هذا ضروري جدا لانه عندما يدور الحديث عن الكتاب تسيطر في أذهان كثير من الناس فكرة الكتاب الذي "نزل" من السماء. ونتيجة لهذه المفاهيم تواجه أية فكرة نقدية عن تاريخ تجميع كتب الكتاب المقدّس بريبة وشكوك من قبل المؤمنين. ولكن إذا كان الإيمان المسيحي مرتكز بالتأكيد على حقيقة إن الله لكي يقترب من الناس وصل إلى حد أن يصير هو نفسه إنسانا ، نفس الشيء يجب أن يسري على الكتاب الذي يشهد على هذه الحقيقة.

بالتالي فان الكتاب المقدّس لم يملى على الناس من قبل الله ، ولكنه ثمرة عمل الله المشترك مع البشر، أي انه كتب من قبل أناس بلغة يفهمها الناس وإذ استنار الكتّاب القديسون بنعمة الروح القدس صاروا أدوات إلهية وحملة للكشف الإلهي ، آخذين على عاتقهم نقله إلى الناس، ولكنهم لم يعملوا بشكل آلي سلبي وانما احتفظوا بشخصيتهم كاملة (غير منثلمة)، محاولين أن يجعلوا الحقائق الإلهية قريبة من اخوتهم في الإنسانية. لذلك اختار كل واحد منهم بحسب مستواه الثقافي وإمكاناته الروحية الوسائل التعبيرية والأشكال اللغوية (سرد، شعر،الخ..) والتي بحسب رأيهم تساهم اكثر في نجاح مهمتهم المقدّسة.

يتدخل الوحي في الحقائق الإلهية فقط وليس في الوسائل التي تعبر عن هذه الحقائق أو في مفاهيم العصر عن تركيبة الكون أو الأحكام الاجتماعية أو اعتبارات أخرى. بالتالي فان النصوص الكتابية هي انعكاسات أفكار ومفاهيم كل عصر ومعطيات الحقبة التاريخية والاجتماعية التي تتناولها هذه النصوص.

إذن ، ان الفهم الصحيح للنصوص الكتابية يتطلب بالضرورة معرفة كل مفاهيم ومعطيات عصر إسرائيل الكتابي.

هناك خطأ شائع يحصل دائما في طريقة التفكير المعاصر وهو انه يعتبر صحيحا فقط، ما يمكن إن تقبله وسائل العلوم التاريخية على انه صحيح. وهكذا أمام الخوف من التشكيك في صحة الكتاب يجاهد الكثير من المفسرين لكي يبرهنوا على صحة كل الروايات تاريخيا. هذه المشكلة طرحت بقوة في القرن الثامن عشر بعد اكتشاف ما سمّي بالكتابة المسمارية وقراءتها. إن الحماس الذي نشأ عن هذا الاكتشاف عند الباحثين بالإضافة إلى التشابه الملحوظ بين نصوص أساطير بلاد ما بين النهرين ونصوص الكتاب إلى دفع البعض من اؤلئك الباحثين في بداية القرن إلى رأي متطرف بأن العهد القديم ليس إلا نسخة إسرائيلية عن أساطير الشعوب المجاورة.

بديهي أن هذا الموقف خلق ردّات فعل عنيفة من قبل اللاهوتيين ولكن بالرغم من ردات الفعل المتطرفة التي صدرت عن كلا الجانبين فان نظرة جادة إلى الأمور تقود إلى التأكد بأنه في الحقيقة يوجد بعض التشابه بين النصوص الأسطورية والكتاب. مثلا حديقة عدن لا شك إنها صورة نجدها في أساطير بلاد ما بين النهرين عن حديقة الآلهة، الأشجار التي تهب الحياة والمعرفة وتوجد في وسط الفردوس تُذكر أيضا بعرض أسطوري مشابه في ذلك العصر.

ولكن هذه التأكيدات لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تبرر أو تدعم رفض الحقيقة الكتابية لان الكتّاب القديسون في محاولتهم إيجاد طرق تجعل الحقيقة قريبة لقرائهم ما كان لهم أن يتجاهلوا الأساطير التي كانت منتشرة بشكل واسع في المنطقة. ثم انه من الواضح إن حقيقة شيء ما لا تتوقف على النمط الأدبي الذي يعبر عنها. المشكلة يمكن أن تطرح عندما تكون العناصر الأسطورية مأخوذة شكلا ومضمونا ولكننا لا نلاحظ شيئا من هذا القبيل في أي نص كتابي. انه ولا في حالة واحدة لا نجد شكلا متكاملا ومستقلا للأسطورة ولا هي بالتالي هدف الرواية.

مثلا إن رواية تمشي الله بعد الظهر في حديقة عدن (تك٣:٨–..) هو صورة تذكر بمشاهد أسطورية ولكن الحديث عن مشي الله ليس هو هدف الرواية وانما انقطاع علاقة الإنسان مع الله. إن الصورة هنا تخدم المشهد فقط وليست هي جوهر الرواية.

الشيء نفسه ينطبق على رواية الطوفان. فكما انه في الكتاب كذلك في الملحمة البابلية "جلجامش" يصير الحديث عن "فلك" يبنى بأمر الهي لكي ينجو بعض البشر وبعض أنواع الحيوانات من الكارثة. ولكن كل قصة نوح تدور حول موضوع واحد وهو فساد الإنسان وعدل الله وقمة هذه القصة نجدها في التشديد على محبة الله الذي بالرغم من فساد الإنسان يعقد اتفاقا معه. هنا ما يتعلق بالطوفان من عناصر يشكّل فقط مجالا لإعلان حقائق الإيمان الكتابي. بعكس ذلك فان موضوع ملحمة جلجامش هو صراع وفساد الآلهة بالإضافة إلى غياب أي بعد تربوي للطوفان . هنا يستخدم المؤلفون الكتابيون موضوعا معروفا ويضعونه في قالب يفقده كليا عناصره الأسطورية.

يتضح مما سبق أن استعمال الصور التي تخدم التعبير عن الحقائق الكتابية لا يعني تبني الأفكار الأسطورية. إن جوهر الأسطورة يكمن في اعتبار الآلهة جزء من هذا العالم بينما التشديد على سمو اله الكتاب يدحض أي علاقة له بالنصوص الأسطورية. بديهي أن اللغة الكتابية غالبا ما تستعمل الصور والأساطير المتداولة في المنطقة طالما أن المؤلفين يستقون مادتهم من روايات أدب البيئة التي يعيشون فيها وخاصة عندما تأتي هذه الروايات على ذكر الخلق، مصدر الشر، علاقة الإنسان بالله...الخ والتي تشغلهم هم أيضا.

ولكن بالرغم من ذلك فان ما يدعو إلى العجب بالحقيقة ان هذه الصور تستعمل دائما كمساهمة لغوية للإعلان بطريقة روائية عن حقيقة الإله الواحد والوحيد والذي خلق العالم كاملا وجبل الإنسان على صورته ومثاله ويتدخل خلاصيا في التاريخ.

في روايات الإصحاحات الأحد عشرة الأولى من التكوين، يعرض بطريقة تصويرية رائعة مسيرة سقوط الإنسان بتفكك سلسلة العلاقات نتيجة لانقطاع علاقته بالله. فكل مرة يحاول الإنسان أن يساوي نفسه بالله إما باقتنائه المعرفة (الأكل من الثمرة المحرمة تك٣:١–..) أو بالسعي إلى تحسين جنسه (زواج كائنات خارقة بنساء أموات تك٦:١–..) أو بالتقدم التقني (بناء برج عال جدا تك ١١:١–..) يعيش انقطاعا جديدا لعلاقاته مع أخيه الإنسان، تهديم العلاقات بين الزوجين(آدم وحواء) وبين الاخوة (قايين وهابيل) بين الأب والابن (نوح– حام) وفي النهاية انقطاعا تاما للتواصل (انعدام التفاهم) وان كان سرد مسيرة السقوط يستخدم صورا تظهر تشابها مع بعض

النصوص الأسطورية فان هذا لا يقلل من قيمة الحقيقة القائلة بأن انقطاع علاقات الإنسان مع الله يقود إلى انقطاع علاقات البشر فيما بينهم. وطبيعي فان استعمال مثل هذه الصور على أية حال لا يبرر وصف العهد القديم على انه كتاب أساطير العبرانيين.

فيما سبق من أمثلة وفي كل ما يماثلها حيث نلاحظ تأثر المؤلفين الكتابيين بمحيطهم الثقافي فان استعمال الصور لا يشكل هدفا بحد ذاته ولكنه يندرج في سياق السرد لخدمة أهدافه. فالطريقة التي اتّبعها الكتّاب في ترتيب الروايات بين دفتي الكتاب المقدّس تشهد على رغبتهم الواضحة في أن تكون رواياتهم تأريخا وليس مؤ لفا أسطوريا. تأريخا بالأحرى عالميا يبدأ بخلق العالم ويصل حتى الاخرويات. تأريخا لا يسعى إلى تسجيل أخبار المجتمع الإنساني في الزمن الماضي ،بل إلى وصف علاقة الله بالإنسان. وهذا هو بالضبط المنطلق الذي يميز العهد القديم عن أساطير كل الشعوب الأخرى ، لانه ، بينما عند باقي الشعوب الله يُعبد لشيء تؤكده الأسطورة ، العكس تماما عند إسرائيل فالتاريخ بالدرجة الأولى هو المجال الذي تظهر فيه قوة الله الخلاصية. هذا يتضح جليا في الوصية الأولى (خر٢٠:٢) التي يدعى بها إسرائيل كي يعبد الله لا لقوى له ظهرت في ماض أسطوري سحيق (الخلق، الطوفان، إفناء قوى الخراب والفوضى..الخ) ولكن لتدخله المحدد في الخروج من مصر.

وإذ يبدأ الكتاب تأريخه بـ"في البدء" فهو يعني في الوقت نفسه أن هذه البداية تقابلها نهاية ما وكل ما بينهما يشكل التاريخ كما فهمه مؤلفو الكتاب أي الحوار بين مبادرات الله واستجابات الإنسان. إن طريقة وصف العهد القديم لتاريخ علاقة الله بالإنسان هي في وضعها في قالب قصصي ، ولكن هذا القالب لتاريخ الله مع شعب ما لا يفقد أبدا علاقته بالتاريخ العام تاريخ البشرية والعالم. العهد القديم يبدأ وينتهي بنفس النمط. في البدايات يعمل الله في العالم والبشرية كوحدة متكاملة ويعمل الشيء نفسه في النهاية في النصوص الرؤيوية (النبوية). يوجد تناظر مباشر بين زمن البداية والنهايات ،كما يتضح من اللغة والمصطلحات التي يستعملها الكتّاب القديسون، بين البدايات والنهايات تحصل أحداث تاريخية معينة بين الله ومجموعة محددة من البشر. إن هذا التاريخ يبدأ بدعوة راع متجول هو إبراهيم ، وهو الإنسان الأول الذي يقبل دون تحفظ إرادة الله لذلك يؤهله الله لكي يصير رئيس شعب سيحمل خبرة تعامل الله مع الإنسان على مستوى التاريخ. يستمر التاريخ بخلاص الشعب الذي تحدّر من إبراهيم، من مصر

، الذي يقابل خلاص إسرائيل من بابل ويصل هذا التاريخ إلى هدفه بالخلاص بالمسيح الذي بدوره يؤسس لتاريخ الكنيسة المسيحية وهو من جهته يتعلق بكل البشرية.

إن علاقة الله الخاصة بمجموعة معينة تتحدد بالأفعال الخلاصية ، إنها تاريخ الخلاص الذي يسمى عادة "تاريخ التدبير الإلهي"، هذا التحديد وان يكن غير واضح دائما في اللغة اللاهوتية بشكل عام لذلك يحتاج إلى بعض الشرح.إلا أن ما هو أساسي في هذا التاريخ ليس الحالات الخلاصية ولكن خبرات الخلاص. ولكن هذا التاريخ لا يشمل فقط أعمال الله الخلاصية نحو شعبه. إن التاريخ لا يمكن أن يحوي فقط أعمالا أو خبرات خلاصية لانه يظل مرتبطا ارتباطا وثيقا باهتمام الله بالعالم. فالقاضي ينبغي أن يولد والنبي ينبغي أن يأكل والكاهن يحتاج إلى حيوانات ليقدم الذبيحة. وهكذا فان عناية الله تهتم بالعائلة، بالمحاصيل في الحقول، بالحيوانات في المراعي...وهكذا تتضح الصورة الكونية لعناية الله فهي تحفظ العائلات، القبائل، الشعوب، وحتى الذين خارج إسرائيل. وحتى أعداء إسرائيل، وكل البشرية التي ما تزال في يد الخالق. إن بركة الله تمتد لتطال كل المخلوقات الحية في البشرية جمعاء.

إن ارتباط الأفعال الخلاصية بعناية الله في روايات العهد القديم كانت نتيجته أن يتضمن التاريخ الخاص بعلاقة الله بشعبه رؤيا عالمية شاملة، وتبدو هذه الرؤيا واضحة مع بداية تاريخ البطاركة بالوعد الذي قطعه الله لإبراهيم "وتتبارك بك كل قبائل الأرض (تك ٢٢:٣). في تاريخ الأنبياء كل ما يحدث في إسرائيل يتركز في أساس تاريخ الشعوب والتاريخ العالمي.في نهاية النبوءة توجد "عبد السيد" الذي يرسل "نورا للأمم...للخلاص إلى أقاصي الأرض" اشعياء ٤٩:٦ وفيما بعد في النبوءات الأخروية ينفتح الخلاص على كل الشعوب وفي النهاية يموت المسيح على الصليب لانه "هكذا احب الله العالم"(يو ٣:١٦) بالتالي يمسي واضحا آن تاريخ الله مع شعبه منذ البداية وحتى النهاية كان هدفه البشرية جمعاء. وعندما يضيع هذا الهدف وهذا ما يحدث في كل مرة ينعزل فيها حدث كتابي ما عن مجرى تاريخ التدبير الإلهي وينقل الواقع حرفيا فحتى اكثر الروايات تشويقا أسمى التعاليم الأخلاقية أو اللاهوتية تتوقف عن أن تكون كتابا مقدسا وتصبح قصصا شريفة.

إذن، طالما أن العهد القديم بالنسبة إلى المسيحيين ليس هو أساطير العبرانيين ولكنه

ظهور الله للبشر وتسجيل تاريخ علاقات الله مع الإنسان فان كتب هذا العهد ليست أدب أحد الشعوب وحسب ولكنها الإرث الروحي للبشرية جمعاء التي يدعوها يسوع المسيح لكي تصير شعب الله.

هكذا فالإجابة على السؤال الثاني عن أهمية العهد القديم للإيمان المسيحي تظهر من إيمان الكنيسة نفسها بشخص يسوع المسيح. فلو أراد المرء أن يختصر في جملة واحدة كل لاهوت الكنيسة فيما يختص بالاقنوم الثاني في الثالوث الأقدس فربما لن يجد ما يناسب اكثر مما نذكر في نهاية الكتاب الأخير.من الكتاب المقدّس"الكائن والذي كان والآتي" (رؤ ١:٤–٨. انظر ٤: ٨). في هذه الجملة يختصر المبدآن الرئيسان اللذان يميزان الإيمان المسيحي عن باقي الديانات ، أي أن الإيمان المسيحي ليس ثمرة تفتيش فكري قام به أحد المفكرين أو انه تركيبة بعض الكهان ، ولكنه، نتيجة إعلان الله في التاريخ وان الكتاب المقدّس هو تسجيل خبرة الإعلان هذا من قبل المجموعة التي عاشت هذه الخبرة وحفظتها حية في تقليدها (تراثها).

لكي يصير معنى الجملة السابقة مفهوما ، يجب أن يعود المرء إلى فترة تبعد اكثر ثلاثة آلاف سنة عن عصرنا آنذاك ، عندما نفى واحد من حاشية فرعون نفسه إلى البرية ووجد نفسه في مواجهة منظر غريب. من خلال عليّقة كانت تلتهب دون أن تحترق ، الله يدعو موسى كي يحرر شعبه المستعبد من قبل المصريين . وفي الحوار الذي يلي يبدي موسى تحفظات حيال قدرته على الاستجابة للمهمة الصعبة التي أوكلت إليه فهو لا يكتفي فقط بتأكيدات الله بأنه سيكون معه ويساعده، ولكنه يطلب منه شيئا اهم بكثير. انه يطلب أن يعرف اسم الإله الذي يدعوه. إن الأسلوب غير المباشر الذي يتبعه في طرح هذا السؤال وتحفظه الشديد (خر ٣ : ١٣) يظهران أهمية طلبه.

بحسب مفاهيم ذلك العصر ، فان الاسم لا يشكل خصوصية خارجية فقط يميز شخصا عن آخر ، ولكنه يتعلق بطبيعة ودور وشخصية ذلك الذي يحمله. موسى إذن بطلبه أن يعرف اسم الله لا يبغي الحصول على معلومة ما ، ولكنه يريد أن يعرف الله نفسه ولهذا السبب كان جواب الله مناسبا، الله لا يجيب مباشرة مصرحا باسم ما ، ولكن واصفا أحد خصائصه "أكون الكائن" (خر ٣ :١٤) . إذن السمة الأساسية لله

التي تكشف لموسى هي "الوجود" بعكس كل الآلهة الأخرى التي يعبدها البشر والتي لا وجود حقيقي لها.

إن كشف الله في سيناء يشكل واحدة من أعظم اللحظات ليس فقط في تاريخ العهد القديم المقدّس ولكن في التاريخ العالمي ومثل ذلك الحدث كذلك العهد الذي تبعه سيصيران في المستقبل نقطة انطلاق تغيير تاريخي عالمي في مسيرة البشرية الروحية.

إن صفة الفكر الكتابي اللاهوتي الرئيسة هي أن الله يكشف نفسه للبشر بكلمته. وهكذا تولد علاقة خاصة بين الله والإنسان . فبينما الله يتكلم الإنسان يسمع. بقدر ما تبدو هذه العلاقة واضحة ومفهومة في الفكر اللاهوتي المعاصر ، فهي تشكل ثورة حقيقية في مفاهيم ذلك العصر. إن الديانة المصرية المجاورة لإسرائيل، مثلا، لا تستند إلى كشف الألوهة. لأن آلهة المصريين لا يظهرون بكلمتهم التي يسمعها الإنسان ، بل يظهرون بصورهم التي يراها الإنسان وبالأشكال الطقسية التي يقيمها الإنسان، إن ظهور الآلهة في كل الديانات القديمة الأخرى يعبر عنه برموز وأفعال طقوسية كانت نتيجتها غياب العلاقة المباشرة بين الحياة الأخلاقية والممارسة العبادية في تلك الديانات. كما يغيب عن تلك الديانات أل"أنا أكون" الذي يتوجه به الإله االكتابي نحو البشر.

اذن، بالرغم من أن آلهة العالم الوثني كلها تحمل اسما ما يصفها ويميزها عن الآلهة الأخرى الواردة في الأسطورة. نجد في إسرائيل ان اسم الله يلعب دورا مختلفا تماما لانه يتعلق مباشرة ليس بالأسطورة ولكن بأحداث تاريخية معينة. لان الله عندما يتوجه نحو البشر ب "أنا أكون" لا يعرف عن نفسه كشخص غير معروف ولكنه يصرح بأنه هو ذاك الذي عرفه البشر من خلال تاريخهم (تك ١٥ : ٧ ، خر ٧ : ٢٠). يعرف إسرائيل من هو وما هو الله من خلال اختباره للقوى الإلهية عبر التاريخ وليس من روايات أسطورية أو تساؤلات فلسفية. إذن عندما يتوجه الله نحو البشر معلنا اسمه ، لا يظهر كحاكم مضطهد ينشر اسمه الرعب في نفوس سامعيه وهو يصدر لهم الأوامر ، ولكنه يظهر كأب عطوف يطلب من البشر مبادلته التصرف نفسه. هذا هو المعنى الذي يحمله بتكرار الجملة الثابتة التي تتبع كل وصية وهي " أنا هو الرب (الذي هو موجود) (لاويين ١٨ : ٤ ، ٥ ، ٦. ١٩ : ١٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨، وأخرى) إن ارتباط اسم الله أي ذكر الأفعال الإلهية مع وصاياه إلى البشر ليس له مثيل في محيط إسرائيل الوثني. دائما أفعال

الله في التاريخ تسبق مطالبه من البشر (خر ٧٠: ٧) وهكذا يتخذ التاريخ البشري معنى مختلفا تماما طالما أن هدفه لم يعد أبعد من معرفة "أنا هو الرب" (خر ٧ : ٧)، أي استجابة البشر لمبادرات الله من أجل خلاصهم.

عندما يحلل كتاب الرؤيا اسم الله ب"الكائن والذي كان والآتي" يعلن بأوضح طريقة ليس فقط أن الله يعلن باستمرار ضمن التاريخ ولكن أيضا أن وجوده يظل غير متغير في الزمن. وبهذه الطريقة تتشدد بقوة وحدة العهدين (القديم والجديد) واللذين يؤلفان الكتاب المسيحي كما يظهر بوضوح تام في الأيقونات الكنسية الأرثوذكسية كتابة "O ΩN" الكائن. في الهالة المحيطة برأس المسيح انه هو نفسه الله الذي يعمل دائما في كل مراحل التاريخ الإنساني. إن وحدة العهدين هذه تبدو جلية في الطريقة التي اتبعتها الكنيسة في دمج كتب العهد القديم في كتابها المقدّس. بتفصيل اكثر إن ترتيب النصوص الكتابية في "قانون" أي كتاب المجمع اليهودى يهدف إلى التشديد على قيمة "الناموس". بالتالي فان الكتب التي تؤلف مجموعة "الناموس" لها المكانة الأولى في هذا القانون ، بعدها مباشرة تأتي مجموعة "الأنبياء" وفي الكتاب الأول في هذه المجموعة في "يشوع بن نون" يظهر الله منذ اللحظة الأولى وهو يعطي خليفة موسى الوصية التالية: "تشجع جدا لكي تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي، لا تمل عنها يمينا ولا شمالا لكي "تفلح" حيثما تذهب لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك بل تلهج فيه نهارا وليلا لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه. فانك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح" (يشوع ١ : ٧– ٨). الكتاب الثاني من المجموعة "ملاخي" ينتهي بوصية مماثلة: "اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام" (ملا ٤ : ٤). إذن فان كل المجموعة الثانية للمؤلفات الكتابية تبدأ وتنتهي بالتذكير بوجوب حفظ الناموس بأمانة ونفس الشيء يتكرر في المجموعة الثالثة. الكتب المقدّسة تبدأ بكتاب "المزامير" الذي يطوب في أولها الإنسان الذي "... يجد في ناموس الرب مسرته"، وفي ناموسه يلهج ليلا ونهارا (مز ١ :٢) وبطريقة مماثلة يشكل الكتاب الأخير من المجموعة "أخبار الأيام" ملخصا لتاريخ إسرائيل بهدف تذكير شعب يهوذا الذي يستعد للتجمع ثانية بعد سبي بابل بأن حياته تتوقف على أمانته بالمحافظة على "الناموس" وتأديته الصحيحة للعبادة.

على العكس، فان هدف ترتيب المؤلفات الكتابية في قانون الكتاب في الكنيسة هو

أن تشكل هذه المؤلفات نوعا من المدخل إلى العهد الجديد. إن "الناموس" في العهد القديم المسيحي لا يشكل مجموعة كتب قائمة بحد ذاتها ولكنها تصنف في مجموعة أوسع تحت عنوان "كتب تاريخية". في هذه المجموعة تصنف بحسب ترتيب تاريخي للأحداث. المؤلفات الكتابية ذات الطابع السردي بحيث تنتج رواية متكاملة تبدأ بخلق العالم وتصل إلى آخر قرون ما قبل المسيحية وهدف هذه الرواية هو إظهار مسؤولية الإنسان عن دخول الشر إلى العالم مما استدعى ضرورة تدخل الله في التاريخ البشري من اجل تأهيل البشرية لقبول الخلاص الذي سيحمله يسوع المسيح. هكذا يكتسب تاريخ ما قبل المسيحية الذي استمر على مدى قرون والذي كتب في العهد القديم معنى بدءا من يوم وحيد، اليوم الذي "تهلل بأن يرى" إبراهيم (يو ٨ : ٥٦) اليوم، أي يوم ظهور يسوع المسيح.

بعد هذا ، الناموس نفسه يفقد معناه المركزي، ويصبح "مرشدا إلى المسيح" . في المجموعة الثانية من المؤلفات الكتابية في القانون المسيحي، تصنف الكتب ذات الطابع الشعري والتعليمي. في "الكتب الشعرية" يسبّح الشعب إلهه ويتوجه نحوه بدعائه وشكواه، وأيضا بشكره للعطايا التي يتلقاها منه، وقبل كل شيء يعبر عن رجائه بمجيء المسيح، بينما في "الكتب التعليمية" تكتنز الحكمة الإلهية، التي وهي قيِّمة على عرش الله "فهي صاحبة أسرار علم الله والمتخيرة لاعماله" (حكمة سليمان ٩ : ٤)[1]. وكموجودة قبل الزمن والتكوين "من الأزل مسحت من الأول من قبل أن كانت الأرض، ولدت حين لم تكن الغمار والينابيع الغزيرة المياه. قبل أن أقِرّت الجبال وقبل التلال ولدت، إذ كان لم يصنع الأرض بعد ولا ما في خارجها ولا مبدأ أ تربة المسكونة، حين هيأ السماوات كنت هناك وحين رسم حدا حول وجه الغمر. حين ثبَّت الغيوم في العلاء وقرَّر ينابيع الغمر وحين وضع للبحر رسمه فالمياه لا تتعدى أمره وحين رسم أسس الأرض. وكنت عنده مهندسا وكنت في نعيم يوما فيوما العب أمامه في كل حين. العب في مسكونة أرضه ونعيمي مع بني البشر. فالآن أيها البنون اسمعوا لي فطوبى للذين يحفظون طرقي اسمعوا التأديب وكونوا حكماء ولا تهملوه" (أمثال ٨: ٢٢ – ٣٣). و"فإنها بخار قوة الله وصخور مجد القدير الخالص فلذلك لا يشوبها شيء نجس.

(١) في أغلب نصوص العهد الجديد الآيات المعينة يرمز إليها بحروف مختلفة.

لأنها ضياء النور الأزلي ومرآة عمل الله النقية وصورة جوده"(حكمة سليمان ٧: ٢٥ – ٢٦)(*)، سوف توحَد من قبل الكنيسة المسيحية بالشخص الثاني للثالوث القدوس "واما للمدعوين يهودا ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله (١كو : ١ ، ٢٤) تختم مجموعة "الكتب النبوية القانون المسيحي. إن فحوى هذه الكتب يفهم من قبل الكنيسة خاصة كإعلان مسبق لظهور المسيح وباقي الكتب تصنف بنفس الطريقة بحيث تتضح تدريجيا صورة المخلص المنتظر.

ينتهي العهد القديم المسيحي بكتاب "دانيال" الذي يعلن قيامة الموتى (دانيال ١٧ :١– ٣) ويصف من خلال رؤيا هائلة شكل "ابن الإنسان" الآتي "على سحاب السماء" الذي "أعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان ابدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دانيال ٧: ١٣ – ١٤)* "ابن الإنسان" هذه التسمية نفسها يستعملها النص الذي يلي مباشرة في الكتاب المسيحي، في إنجيل متى، المسيح، في كل مرة يتكلم فيها عن نفسه (متى ٨ : ٢٠ ، ٩ : ٦، ١٠: ٢٣، ١١ : ١٩، ١٢ : ٨ و٢٣و ٤٠ وأخرى) إذن عندما تفسر الكنيسة نصوص العهد القديم خريستولوجيا تعطيها معنى مختلفا تماما عن ذلك الذي تأخذه نفس النصوص في المجمع (اليهودي) بهذا المعنى الجديد تدمج الكنيسة كتب العهد القديم في كتابها المقدّس وتعتبرها جزءا من تراثها وتشرع في الوقت نفسه حقها أن تكون هي "إسرائيل الجديد" ووارثة مواعيد الله وليس المجمع اليهودي. مما سبق، يصبح واضحا أن مجموع كتب قانون الكنيسة تشكل الكتاب المسيحي وليس بعضا منها فقط، لان نبذ بعض هذه الكتب يعني التمييز الواضح بين اله العهد القديم والإله الذي يستعلن بواسطة يسوع المسيح في العهد الجديد.

إن مثل هذا التمييز لا يزعزع فقط المبدأ الأساسي الذي يختلف به الإيمان المسيحي عن كل ما عداه بأن الله يظهر في التاريخ البشري، ولكنه يقود أيضا إلى صورة مختلفة كليا عن يسوع المسيح ويصبح الخلاص المعلن عنه بدون مضمون.

هذا يدركه المرء بكل سهولة عندما يحاول أن ينزع من العهد الجديد الآيات المذكورة في العهد القديم، وسيتأكد حينذاك انه لا يبقى من شخص المسيح سوى صورة

(*) عن الترجمة السبعينية.

صانع عجائب متجول، أو في أفضل الحالات، واحد من معلمي الحقائق الفلسفية الذي ينجح دائما في (قلب/دحض) حجج محدثيه الفلسفية، لكن صورة المسيح هذه غريبة جدا عن إيمان الكنيسة بشخصه.

إذا كان حقيقة، أن الإيمان المسيحي ليس نتاج (أبحاث/تأملات) فلسفية على مستوى نظري بحت، ولكنه يعتمد على ظهور الله في التاريخ البشري فان وحدة العهدين تصير لا بد منها. لانه في هذه الوحدة تظهر بوضوح تام أبعاد حضور الله في التاريخ فليس من سبيل المصادفة أن كل البدع التي ظهرت في العصور المسيحية الأولى تحت تأثير أفلاطوني حاربت بعنف العهد القديم، لذلك فان الكتّاب الكنسيين والآباء لا يميزون أبدا في مؤلفاتهم العقائدية بين العهدين القديم والجديد نوعياً، ولكن فقط تاريخياً وفنياً. وكذلك قوانين المجامع المحلية أو المسكونية لا تجد فرقا بالاستناد إلى العهدين القديم أو الجديد. يظهر هذا الارتباط الوثيق بين العهدين بشكل رئيسيٍّ وجليّ في عبادة الكنيسة حيث يصعب على المرء إيجاد تسبحة واحدة لم تشر مباشرة إلى أحد أشخاص أو حدث من العهد القديم غير متأثرة بمواضيعه أو تعابيره. إضافة إلى انه في كل الخدم الكنسية تقرأ مقاطع كبيرة أو صغيرة من العهد القديم. فقط بهذه النظرة إلى وحدة العهدين غير المنفصلة سيتمكن يوحنا من مجابهة العقيدة الأفلاطونية "الله لا يخالط البشر" الفكرة التي كانت سائدة في ذلك العصر ب"في البدء كان الكلمة ..والها كان الكلمة..والكلمة صار جسدا وسكن فينا" (يو١ : ١–٤) التي هي أساس الإيمان المسيحي.

Is the Old Testament a Group of Jewish Mythologies, or is it the Book of the Church?

Dr. Militiades Constantinou
University of Thessaloniky - University of Balamand

Professor Dr. Constantinou begins his article on the basis that the Holy Bible is the outcome of the synergy between God and Man. Then he tackles the mechanism through which, and by which, the Bible was formed, besides, the people who contributed to its formation, and had left their seal and effect on it, from different perspectives. In addition to that, the author of the article does not neglect or minimize the presence of some similarities in imageries through the appeal to a certain quality of narration that prevailed at a definite time, so as to make easy the idea, to the minds of the people of the past.

Meanwhile, he draws a clear comparison between the myths of the Gentiles, and the Biblical events.

Finally he leads us to the goal of the O.T., i.e., to the Lord Jesus Christ, and says: "When the church puts all the books of the O.T. in what we call the Bible, it legislates its right of being herself, the New Israel and the only inheritor of the divine promises.